



دروس وفوائد من آية الكرسي

الدرس ٢٧

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

١٤٤١/١٠/١٤ هـ

الفوائد والثمار والآثار من التوحيد

إِنَّ التَّوْحِيدَ ثَمَارُهُ لَا تَحْصَى، وفوائده لَا تَسْتَقْصَى، بل إِنَّ كُلَّ خَيْرٍ يَنَالُهُ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَارِ التَّوْحِيدِ، وَنَتِيجَةٌ مِنْ نَتَائِجِهِ، وَنِعْمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ لَا حُدَّ لَهَا وَلَا عَدَدٌ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] [السجدة: ١٧].

وأول ما أبدأ به من فوائد التوحيد الفائدة المشار إليها في الآية التي تلي آية الكرسي، وكذلك الفائدة التي في الآية التي تليها، فذكر الله جَلَّ وَعَلَا عَقِبَ آيَةِ الْكَرْسِيِّ ثَمَرَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ ثَمَارِ التَّوْحِيدِ، وَأَثَرَيْنِ مَبَارَكَيْنِ مِنْ أَثَارِهِ.

الثمرة الأولى: أَنَّ الْمَوْحِدَ بِتَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَمَلِ لِلَّهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَبِرَاءَتِهِ مِنَ الشَّرِكِ وَخُلُوصِهِ مِنْهُ يَكُونُ مُسْتَمْسِكًا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَهَذِهِ الثَّمَرَةُ الْمَبَارَكَةُ لَا يَنَالُهَا إِلَّا الْمَوْحِدُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِي آيَةَ الْكَرْسِيِّ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] هذا

هو التوحيدُ كفرٌ بالطاغوت، وإيمانٌ بالله، وهو معنى قوله في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ لَأَنَّ ﴿لَا إِلَهَ﴾ كفرٌ بالطاغوت، و﴿إِلَّا هُوَ﴾ إيمانٌ بالله، وإخلاصُ العبادة له جَلَّ وَعَلَا.

الثمرة ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولا انقطاع، وهذا فيه دلالةٌ على نجاته وسلامته وعزّه ورفعته في دنياه وأخراه؛ لَأَنَّهُ مستمسكٌ بعروة وثقى، أي: متمسكٌ وثيقٌ وبرباطٍ وثيقٍ لا ينفصم ولا ينقطع، بخلاف ما يتمسك به أهلُ الباطل وأربابُ الضلال، فكلُّ ما يُسْتَمْسَكَ به غير التوحيد فهو ضياعٌ وتبابٌ وانقطاع، والتوحيد هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها، مَنْ تمسك بها فاز ونجا وأفلح في دنياه وأخراه، بل يمكن أن نقول: إِنَّ مَثَلَ التمسك بهذه العروة الوثقى مَثَلُ سفينة نوح عليها السلام التي من ركبها نجا، ومن تركها غرق وهلك، والذين نجوا على سفينة نوح هم أهل التوحيد، والذين هلكوا ممن لم يركبوا السفينة كلهم من أهل الشرك، بما فيهم زوجته وولده، كما سبق بيان ذلك وإيضاحه.

فالتوحيدُ هو المعتصمُ والمتمسكُ والعروة الوثقى التي لا تنفصم، والتي يكون بتمسك العبد بها عزُّه وفلاحُه ونجاتُه في الدنيا

والآخرة، ولا يكون لأمر المرء في الدنيا والآخرة عصمةٌ ونجاةٌ إلا بالتوحيد؛ ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الدعاء: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي»^(١)، وعصمةُ الأمر وسلامتهُ، ونجاةُ العبد وعزُّه وفلاحه لا يكون إلا بصلاح الدين بالتوحيد؛ ولهذا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، قال بعض المفسرين: لا تفسدوها بالشرك بعد أن أصلحها الأنبياء بالتوحيد^(٢).

فهذه الثمرة المباركة العظيمة التي ذُكرت في الآية التي تلي آية الكرسي لا ينالها إلا أهل التوحيد الذين حققوه، وأتوا به، وكانوا من أهله واستمسكوا به، وأما من سواهم فكلُّ شيء تمسكوا به يتقطّع، إما في الدنيا أو في الآخرة، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، يعني: العلائق والروابط وما يستمسكون به كله يتقطّع إلا ما كان لله، كما قيل: ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، الذي لغير الله ينقطع؛ لأنها عُرِي مُنْصَمَةٌ ومقطّعة

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢ / ٤٨٧)، وتفسير البغوي (٣ / ٢٣٨) وغيرهما.

وواهية.

ضرب الله عَزَّوَجَلَّ مثل ما يَتمسك به المشرك بأنه كبيت العنكبوت، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١]، ولهذا من يشرك بالله مثله كمثل من يَتمسك بقشة، أو يتعلق بأوهى متعلق؛ ولهذا قيل: استغاثة الإنسان بغير الله كاستغاثة غريق بغريق، يَتمسك إذا التجأ واعتصم بمن لا ينفع نفسه، ولا يملك لها موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، إذا التجأ إلى أمثال هؤلاء ماذا يغنون عنه؟ ولهذا التوحيد هو العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا في الدنيا والآخرة، بل لا نجاة في الدنيا والآخرة إلا بالتوحيد.

الثمرة الثانية: إن أهل التوحيد هم أهل الولاية؛ ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ويلاحظ الارتباط بين الآيات، لما ذكرت آية التوحيد، وذكر أن الموحّد هو المستمسك بالعروة الوثقى، ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بعد ذلك تولّيه للموحّد ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، هذه الولاية خاصة بأهل الإيمان والتوحيد والإخلاص، لا يدخل معهم فيها سواهم.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إذا قيل: مَنْ هم الذين آمنوا؟ قيل: اقرأ ما قبلها، الذين حققوا ما قبلها هم الذين آمنوا، فمن قرأ آية الكرسي وعرف التوحيد والإخلاص الذي فيها، وأفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعمل، وكفر بالطاغوت، وآمن بالله، وصار بذلك مستمسكاً بالعروة الوثقى صار أهلاً لولاية الله، أي: أن يتولاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا تولاه الله حاز الخير كله، إذا كان الله عَزَّجَلَّ وَلِيَّه، أي: حافظه وناصره ومؤيده والمدافع عنه والمعين له، أليس الله بكاف عبده؟ إذا تولى الله عبده كُفِيَ من كل شيء، وكُفِيَ من كل شر، وحُفِظَ من كل بلاء، قال تعالى:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]

وثمار هذه الولاية وآثارها جاءت مبينة في الحديث المعروف عند العلماء بحديث الولي، يقول الله عَزَّجَلَّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي

يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي
لَأُعِذَّنَّهُ»^(١).

قف عند قوله: «عَبْدِي... عَبْدِي» مرتين، حتى تعرف سر الأمر،
مَنْ ينادي غير الله، ويستغيث بغير الله، ويذبح لغير الله، ويصرف شيئاً من
العبادة لغير الله، هل هو داخل تحت «عَبْدِي... عَبْدِي»؟ هذه لا تكون
إلا للموحد، عبد الله هو الموحد الذي يخلص دينه لله، أمّا الذي يجعل
مع الله نداً وشريكاً، فقد قال الله في الحديث القدسي الآخر: «أَنَا أَغْنَى
الشُّرَكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ
وَشِرْكُهُ»^(٢)، فلا يكون عبداً لله عبودية أولوهيته وتوحيده إلا بالإخلاص
والتوحيد؛ ولهذا الموحّدون - كما يدل هذا الحديث - الذين هم أهل
ولاية الله على رتبتين:

الرتبة الأولى: موحّد محافظٌ على الفرائض - والفرائض معروفةٌ:
واجبات الإسلام - يؤدي الفرائض ولا يُضيّعها، لكن ليس عنده نشاطٌ
على المستحبات والنوافل، ولا ينتهك المحرمات. هذا وليٌّ من أولياء

١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢) سبق تخريجه.

الفوائد والثمار والآثار من التوحيد

والله، والله عَزَّجَلَّ تكفل بحفظه، وهو داخل تحت قوله: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا»، هذه رتبة من الولاية، وتسمى: رتبة المقتصدين.

الرتبة الثانية: وهي أعلى، وهم: مَنْ زادوا على محافظتهم للفرائض، وبعدهم عن المحرمات العناية بالنوافل؛ ولهذا ذكر الرتبة الثانية بقوله: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِذَنَّهُ»، هذه رتبة عالية، رتبة السابقين بالخيرات ورتبة المقربين.

والله عَزَّجَلَّ ذكر أن أهل التوحيد على ثلاثة أقسام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٣].

فقوله: ﴿مَنْ عِبَادِنَا﴾ المراد بالعبودية: عبودية ألوهيته التي هي التوحيد.

وأهل التوحيد ثلاثة أقسام:

الأول: الظالم لنفسه.

والثاني: المقتصد.

والثالث: السابق بالخيرات.

والواو في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ تشملهم؛ ولهذا الشيخ الشنقيطي رحمه الله يقول عن هذه الواو: «والواو في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ شاملة للظالم، والمقتصد، والسابق على التحقيق؛ ولذا قال بعض أهل العلم: حُقَّ لهذه «الواو» أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبقَ من المسلمين أحدٌ خارجٌ عن الأقسام الثلاثة، فالوعدُ الصادقُ بالجنة في الآية شاملٌ لجميع المسلمين؛ ولذا قال بعدها متصلاً بها: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (٣٦) إلى قوله: ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦ - ٣٧]»^(١).

فأهل التوحيد ثلاثة أقسام، وكلُّهم من أهل الجنة، لكن هل هذا يعني: أن دخولهم للجنة دخولٌ أوليٌّ، ما يسبقه عذاب؟

١) أضواء البيان للشنقيطي (٥ / ٤٩٠).

أما المقتصد، والسابق بالخيرات: فَإِنَّهُمَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ بدون حساب دخولاً أولياً؛ لأنه ليس في أعمالهم موجبات الحساب، الكبائر ليست موجودة، وإن كان عنده شيء من اللّمم فالحسنات يذهبن السيئات، «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ»^(١)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فإذا كان الإنسان محافظاً على الفرائض، ومجتنباً للمحرمات، أو زاد على ذلك فعل المستحبات والرغائب، فهذان يدخلان الجنة بدون حساب.

أما الظالم لنفسه: فهو سيدخل الجنة، تشمله «الواو»؛ لكن لا يعني هذا أن دخوله دخولٌ أوليٌّ؛ لأن الجنة دارُ الطيب المحض، فإن كان عنده خبثٌ دون خبث الشرك، فإنه يُطَهَّرُ في النار، ويُنَقَّى فيها، ثم إذا تطهر دخل الجنة، أما إذا كان خبثه خبث الشرك فالنارُ لا تُطَهِّرُهُ؛ ولهذا من يدخلون النار على قسمين:

قسم يدخلون لعذاب أبدي، وعقوبة سرمدية أبد الأبدين: وهم الكفار.

١) أخرجه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وآخرون يدخلون النار وعندهم التوحيد، ولكن عندهم معاصي دون الشرك، فهو لاء دخولهم للنار ليس دخول تخليد وتأبيد، وإنما هو دخول تنقية وتطهير؛ ولهذا جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ ذكر الكفار، ثم ذكر أهل الكبائر من أمته، فقال: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرُ ضَبَائِرٍ، فُبْتُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْجَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»، فقال: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ^(١)، أي: إنهم إذا دخلوا النار أماتتهم النار وتفحموا، يعني: يصبحون قطعاً من الفحم، ثم يخرجون منها ضبائر ضبائر، يعني: جماعات ودفاعات.

لو قال قائل: لماذا لا يخرجون دفعةً واحدةً؟

١) أخرجه مسلم (١٨٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الجواب: أن الكبائر التي كانوا يفعلونها ليست على مستوى واحد بل متفاوتة، فيخرجون دفعات، منهم: كبائره كثيرة، فيكون خروجهم متأخرًا. ومنهم: كبائره قليلة، فيكون خروجهم متقدمًا.

ثم ماذا يصنع بهم؟ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَيُلْقُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»^(١).

ما يلقيون في نهر الحياة قطعًا من الفحم، فيحيون بماءه كالْحَبَّةِ، وهي البذور التي تكون في الوادي^(٢)، فإذا جاء السيل يطفح حمل هذه البذور على متنه، ثم ألقاها على جنبتيه، فتنبت وتحيا بمائه.

وظلم الإنسان لنفسه إما أن يكون ظلمًا بالمعاصي التي دون الشرك، وهذا الذي هذه عقوبته إن عاقبه الله وعذبه، ليس عقابًا أبدًا مخلدًا في نار جهنم، بل هو عذابٌ إلى وقتٍ محدودٍ، وأمدٍ معدودٍ على قدر حجم ذنوبه، ثم يخرج إلى الجنة، وقد جاء في حديث قدسي أن الله

١) متفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، البخاري (٦٥٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٤).

٢) قال الجوهرى: «والْحَبَّةُ بالكسر: بزور الصحراء مما ليس بقوتٍ». الصحاح (١/١٠٥).

عَزَّجَلَّ يوم القيامة يقول: «أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(١)، وفي رواية: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيْمَانِ»^(٢)، فالموحد لن يُخلدَ في النار.

ولهذا قال العلماء من فوائد التوحيد أنه إن كان تاماً منع من دخول النار، وإن كان ناقصاً بالذنوب منع من الخلود فيها.

ومعنى تاماً: أي: حققه صاحبه وكمله وأتقنه، وتحقيق التوحيد: هو تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي^(٣)، فمن حقق التوحيد منعه من دخول النار كما في الحديث الصحيح «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ

١) متفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، البخاري (٢٢)، واللفظ له، ومسلم (١٨٤).

٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٣٤) قال الذهبي في تلخيصه: صحيح الإسناد.

٣) انظر: فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص: ٥١).

حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ^(١)، فالنار عليه حرامٌ، لا يدخلها ولا يناله شيءٌ من عذابها.

وإن كان التوحيد ناقصاً بالذنوب والمعاصي فإنه يمنع من الخلود، لأنه لا يُخلَّد في النار إلاَّ المشرك، وقرأ هذا في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[النساء: ٤٨]، فكلُّ الذنوب التي دون الشُّرك جعلها الله تحت مشيئته، أما الذنب الذي توعدَّ صاحبه بأنه لا مطمع له في مغفرة الله أبداً إن مات عليه فهو الشرك بالله، فمن مات عليه فليس له مطمعٌ في غفران الله ورحمته أبداً، وإذا دخل النار وطلب نجاةً وعودةً للدنيا لا مطمع له،

يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ

فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر: ٣٦ - ٣٧]. فإذا كان مشركاً ليس له في الآخرة إلاَّ العذاب المؤبد، بل إنَّ أشدَّ

(١) متفق عليه من رواية عتبان بن مالك رضي الله عنه، البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٦٥٧).

آية - كما قال بعض المفسرين^(١) - على أهل النار قول الله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠]، فليس لهم فيها إلا المزيد من العذاب، ليس لهم تخفيف ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وأمرٌ أعظم من هذا: الزيادة في العذاب.

أما الموحد الذي أصابته النار بذنوبه، فإنه يخرج منها بعد أن يُعَذَّبَ فيها، إن لم يتطهر في الدنيا من هذه الذنوب يطهر في النار يوم القيامة؛ لأنَّ الجنة دار الطيب المحض، فلا يدخلها من عنده طيبٌ مشوبٌ بخبث، يقال للداخلين: ﴿طَبِّئْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فإذا كان عنده خبث من الكبائر والذنوب، ولم يتطهر في الدنيا يطهر في نهر جهنم يوم القيامة؛ ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «مدارج السالكين»: «لأهل الذنوب ثلاثةٌ أنهارٍ عظامٍ يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تَفِ بِطُهرِهم طُهِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة: نهرُ التوبة النصوح، ونهرُ الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهرُ المصائب العظيمة المكفرة، فإذا أراد الله بعبده خيراً أدخله أحدَ هذه الأنهار الثلاثة، فوردَ

١) قاله عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، انظر: تفسير الطبري (١٦٩ / ٢٤).

القيامة طيباً طاهراً، فلم يحتاج إلى التطهير الرابع^(١)، لاحظ! جعل الله دخوله للتطهير، بخلاف الكافر، فإن دخوله ليس للتطهير، لأنَّ الشرك لا تطهره النار.

○ فالظلم ظلمات:

- (١) ظلم النفس بالمعاصي التي دون الشرك.
- (٢) وظلم النفس بالكفر والشرك بالله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].
- والله عزَّ وجلَّ نصَّ على هذين الظلمين في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [٣٢] جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [٣٢] [فاطر: ٣٢ - ٣٣]، الظالم لنفسه هنا بالمعاصي دون الشرك، ثم قال بعدها: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [٣٦] وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ

(١) مدارج السالكين (١/ ٣١٩).

صَلِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ
التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ [فاطر: ٣٦ - ٣٧].

هل قوله هنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ مثل قوله ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾؟ لا،
الأوّل: ظَلَمَ نَفْسَهُ بالمعصية، والثاني: ظَلَمَ نَفْسَهُ بالشرك.

الذي ظلم نفسه بالمعصية سيدخل الجنة بإذن الله، لكنه عُرِضَ
لعقوبة على ذنوبه فقد يمر بمرحلة تعذيب وتطهير، ثم يدخل جنات
النعيم؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ:
«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَفَعْتُهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ، يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»^(١)،
أي: قد يُعَاقَب إذا كان عنده مع توحيد كباثر وذنوب.

أما الظالم لنفسه بالكفر فهذا لا مطمع له في مغفرة الله، ولهذا جاء
في حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الدَّوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ: فِدْيَانٌ لَا يَغْفِرُ
اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيَّانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيَّانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، فَأَمَّا
الدِّيَّانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَالْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وَأَمَّا

(١) أخرجه البزار في مسنده (٨٢٩٢)، والطبراني في المعجم الأوسط (٦٣٩٦).

عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٤).

الدِّيَّانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا قَطُّ فَظَلُمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ،
وَأَمَّا الدِّيَّانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَمَظَالِمُ الْعِبَادِ بَيْنَهُمُ الْقِصَاصُ لَا
مَحَالَةَ»^(١).

معنى «لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا»، يعني: لا يتركه حتى يقتص للمظلوم
من ظالمه، كما جاء في الحديث - حديث المفلس - قال
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا
دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ،
وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ
دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ
فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ

١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٨٧١٧) عن عائشة رضي الله عنها، وقال: «هذا
حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال العراقي في تخريج أحاديث
الإحياء: «رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة وفيه صدقة بن
موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وله شاهد من حديث سلمان رواه
الطبراني وهو منكر قاله الذهبي» (٢٠٩١ / ٥).

طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١)، وجاء في حديث آخر حسن الإسناد، حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرُلًا بُهْمًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عُرَاةً غُرُلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»^(٢).

«عُرَاةً»: بدون ملابس، و«بُهْمًا»: ليس معهم من الدنيا شيءٌ، فكل ما كانوا يمتلكونه من الدنيا أموالاً، قصوراً، مزارع... إلخ، مهما اتسعت وعظمت لا يأتي معهم شيءٌ منها يوم القيامة.

ثم يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في ذلك الموقف العظيم - الذي نسأل الله العظيم أن يمنَّ علينا بالنجاة والسلامة -: «أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»

١) أخرجه مسلم (٢٥٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢) أخرجه أحمد (١٦٠٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٠٨).

يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ».

ثم يقول رب العالمين سبحانه: «وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ» فالمظالم تقتص، وكلُّ يُعطى حقه، لا شيء من الدنيا - الأموال التي سلبت، الأراضي التي انتهبت، الممتلكات التي أخذت - يأتي معه يوم القيامة حتى يعيدها عليه، فقال الصحابة يا رسول الله: «كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟» أي: كيف يقتص منهم وقد جاءوا يوم القيامة بُهْمًا؟ الشيء الذي أخذه منه في الدنيا مات وتركه، وكل ما ينتهبه الإنسان، وكل المظالم التي يأخذها عظمت أو قلَّت، ينتهي أمره منها بمفارقة روحه جسده، ربما بعض الناس - والعياذ بالله - يظلم مظلمةً كبيرةً ثم يموت غدًا أو بعد ساعة، فلا انتفع بمظلمته ولا انفك يوم القيامة من هول مُصَابِهَا، يأتي يوم القيامة يحملها، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الغلول، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في خطبة بليغة: «لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ

رُعَاءُ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنِنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ...»^(١) إلى آخر الحديث، فالمظالم يوم القيامة شأنها عظيم ولا تترك.

قالوا: «كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّجَلَّ عُرَاءَ غُرْلًا بُهْمًا؟» قال: «بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»، يُعْطِي الْمَظْلُومُ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ، وَإِذَا انْتَهَتْ حَسَنَاتُهُ وَفَيْتَتْ، أَخَذَتْ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، فَطُرِحَ فِي النَّارِ، هَذَا الْمَفْلَسُ حَقِيقَةً. فَهَذَا دِيْوَانٌ لَا يَتْرَكَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والديوان الآخر: «لَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا» وهو: ظَلَمَ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ، وَهُوَ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي الَّتِي دُونَ الشُّرْكِ، وَشَأْنُهَا كَمَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، يَعْنِي: أَمْرٌ فَاعِلُهَا تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ.

وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمَرْءُ فِي الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ، يُلَوِّحُ وَيُظْهِرُ لَهُ بَهَاءُ التَّوْحِيدِ وَعَظَمَتُهُ وَمَكَانَتُهُ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ، إِنْ كَانَ تَوْحِيدَ الْإِنْسَانِ نَاقِصًا - عِنْدَهُ أَصْلُ التَّوْحِيدِ وَأَسَاسُهُ، لَكِنْ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ - فَالْنَّجَاةُ لَهُ حَاصِلَةٌ، وَلَنْ يَخْلُدَ فِي النَّارِ، شَاءَ أَهْلُ الْبِدْعِ أَوْ أَبَوَا؛ لِأَنَّهُ يَوْجَدُ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ مَنْ يَنْكُرُونَ

١) سبق تخريجه.

ذلك، ويقولون: إِنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مَخْلَدٌ فِي النَّارِ، ويردون أحاديثَ صريحةً واضحةً صحيحةً ثابتةً عن النبي المصطفى والرسول المجتبي الصادق المصدوق عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومنها ما في الصحيحين وغيرهما في حقَّ أهل الكبائر، ولو تمسكَّ المسلم في هذا الباب بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] كانت كافية؛ لأنها قاعدةٌ عظيمةٌ في الموضوع، ويسلم إذا أحسن فهمها من شبهات أهل الباطل.

قال قريش بن أنس، «قال: سمعت عمرو بن عبيد يقول: يؤتى بي يوم القيامة، فأقام بين يدي الله فيقول لي: لم قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قتلته، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

قلت له -وما في البيت أصغر مني: أرايت إن قال لك قد قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر؟

قال: فما استطاع أن يرد علي شيئاً^(١)

١ () تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص: ١٣٨).

○ ومن ثمار التوحيد:

ما دل عليه قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ

بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام: ٨٢].

الصحابة رضي الله عنهم أهل تأمل للقرآن، ليس شأنهم كشأن غيرهم ممن يقرأ الآيات وكأنها لا تعنيه، لما نزلت هذه الآية أشكل أمرها على الصحابة رضي الله عنهم - وهم أهل الهمم العالية، والعزائم القوية، والحرص على الطاعة والعبادة - وفهموا من الآية أن من ظلم نفسه بمعصية لا أمن له ولا اهتداء، فأتوا إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وعرضوا عليه الأمر، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيَّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

عَظِيمٌ ﴿[قمان: ١٣]﴾^(١)، وفي لفظ عند البخاري: «قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴿[الأنعام: ٨٢] بِشْرِكٍ...﴾»^(٢).

معنى ﴿يَلْبِسُوا﴾: أي: يخلطوا، ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك، يعني: الذي آمن ووحد، ولم يخلط إيمانه بشرك بالله له الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، هذا معنى الآية كما فسرها به النبي ﷺ.

وكلما قوي حظُّ العبد من الإيمان قوي حظُّه من الأمن والاهتداء، وكلما نقص نقص، فالكل لهم نصيب من ذلك، ولكن حظُّه منه متفاوت؛ لأنَّ أهل الإيمان في الإيمان ليسوا على درجة واحدة، وإن شئت اقرأ ما جاء في الصحيحين، يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

١) متفق عليه من رواية عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، البخاري (٦٩٣٧)، ومسلم

(١٢٤) واللفظ له.

٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٠).

رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ^(١)، «أَهْلَ الْغَرْفِ» يعني: أهل المنازل الرفيعة.

فهؤلاء لهم من الإيمان بالله، وتصديق المرسلين رتبةً عليّةً ورفيعةً، استحق بمثلها أبو بكر الصديق أن يُلقَّب بـ«صديق الأمة» رضي الله عنه وأرضاه، وكان خيرَ الناس بعد الأنبياء، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ»^(٢).

الحاصل أن الناس يوم القيامة ثلاثة أقسام:

- ١) أهل الإيمان التام: لهم الأمن والاهتداء التام.
- ٢) وأهل الإيمان الناقص الذي لم يخلط بشرك: لهم أمن واهتداء ناقص بحسب إيمانهم.
- ٣) أهل الشرك والكفر، فهؤلاء لا أمن لهم ولا اهتداء.

١) متفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، البخاري (٣٢٥٦) واللفظ له، ومسلم (٢٨٣١).

٢) أخرجه ابن ماجه (١٠٠) عن أبي جحيفة رضي الله عنه، وصححه الألباني.

الفوائد والثمار والآثار من التوحيد

وإذا وُجد الشركُ بطلَ كُلُّ شيءٍ، حتى لو كان عند الإنسان أعمالٌ
صالحةٌ كثيرةٌ فكلها تبطل، وقد قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٦].

هذه بعض الفوائد والثمار والآثار المباركة التي ينالها أهلُ
التوحيد من التوحيد في دنياهم وأخراهم، وإلا فهي لا حدَّ لها ولا عدَّ
ولا إحصاء، لكثرتها وتعدُّدها وتنوعها لأهل التوحيد في الدنيا والآخرة.
و بهذه الثمار المباركة وصلنا إلى ختام الكلام على ما يتعلق بهذه
الآية المباركة - آية الكرسي -، نرجوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَنْيِلَنَا مِنْهَا
عالي الثمار، ورفيع المكاسب والآثار، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمِيعٌ مُجِيبٌ،
وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

